

المحاضرة السابعة: مدارس علم النفس – الجشطالتية La théorie de la forme

بعدها كانت السلوكية هي المدرسة النفسية الأمريكية المهيمنة لفترة طويلة في القرن العشرين، تأسس علم النفس الجشطالت في ألمانيا وصُدر إلى الولايات المتحدة عام 1930، وقد اهتم هذا التيار ببنية الظواهر، فالأمر يتعلق هذه المرة بمقاربة شاملة holistique معارضة للتحليلية البيهايفيورية أو تحليلية تداعي الأفكار.

تعني المفردة الألمانية «Gestalt» ما يمكن ترجمته بشكل تقريبي بـ «الكل المبني a structured whole» وقد التصقت بهذا التيار لاعتبار أصحاب هذا الأخير أن الكل مختلف عن مجموع أجزائه، وبالتالي للإدراك مختلف عن مجموع أجزائه.

يرجع تطور هذا التيار إلى النفسانيين الألمان: ماكس فاغثير **Max Wertheimer** (1880-1943)، كورث كوفكا **Kurt Koffka** (1886-1941) وولفجونج كوهلر **Wolfgang Köhler** (1887-1967) الذين نظروا للتجارب الفكرية ككل منظم أو كشكل أكثر من كونها مجموعة من العناصر، مثال: تجربة السبورة هي أكثر من مجموع نقاط للدهن.

كما فعل السلوكيون، يرفض النفسانيون الجشطالتيون طريقة الإستبطان ولكنهم يختلفون معهم حول فرضية العناصر القاعدية للفكر، حيث ترى مدرسة التداعي في تلك العناصر أساسا للحياة النفسية في حين يقترح أصحاب التيار الجشطالتي فكرة الشكل، بحيث لا يكون المعطى النفسي فسيفساءً ولا استمرارية غير مترابطة ولكنه متكون من وحدات وجماعات أو بعبارة أخرى أشكال.

ازدهر علم النفس الجشطالت في النصف الأول من القرن العشرين، حيث استعمل المؤسسون الثلاثة لهذا العلم ومرافقوهم أفكار الشكل لتطوير القواعد الأساسية للإدراك، التعلم، والتفكير.

1. كوفكا والقواعد الأساسية للشكل:

- **قانون الشكل الجيد la loi de la bonne forme**: وهو قانون رئيسي تتحدر منه بقية القوانين، حيث نميل للوهلة الأولى (آليا) إلى إدراك مجموع من الأجزاء بلا شكل محدد (كتجمعات عشوائية من النقاط) على أنها شكل بسيط، متناظر أو "شكل جيد" ببساطة.
- **قانون التقارب la loi de proximité**: بحيث تجمع العناصر القريبة من بعضها البعض وتترك مجتمعة.

- **قانون التشابه la loi de similarité**: إذا كانت المسافة بين العناصر لا تسمح بجمع النقاط، نقوم بتحديد الأكثر تشابهاً لتدرك شكلاً.
 - **قانون الإستمرارية la loi de continuité**: قبل أن تدرك النقاط المتقاربة كأشكال، ندركها أولاً على أنها في حالة استمرارية أي كامتدادات الواحدة بالنسبة للأخرى.
 - **قانون الإنغلاق la loi de clôture**: التشكيلة المغلقة مدركة بسهولة على أنها شكل أكثر من التشكيلة المنفتحة.
 - **قانون المصير المشترك la loi de destin commun**: تدرك الأجزاء المتحركة التي لها نفس المسار على أنها مكونة لنفس الشكل.
- تعمل هذه القوانين معاً دون أن تكون في تناقض مع بعضها البعض في بعض الأحيان، ويمكن أن توظف لتفسير بعض الظواهر الإدراكية كالوهم البصري l'illusion optique.

2. نظرية الشكل والتعلم:

بعد أن أصبح مديراً لمحطة دراسات شبيهات الإنسان primatologie في Ténériffe (في جزر الكناري) بين عامي 1913 و1917، درس **كوهلر** - الذي اختلف مع نظرية **ثورندايك Thorndike** حول التعلم التدريجي بالمحاولة والخطأ - التعلم عند قرد الشمبانزي في وضعيات معقدة، اكتشف فيها هذا الأخير الحل فجأة بعد إعادة بناء المعطيات (سيرورة الإستبصار the insight).

لقد دافع النفسانيون الشكليون عن التقليد العقلاني la tradition mentaliste على امتداد الفترة البيهايفيورية ولكنهم لم يتمكنوا من مجابهة التقليد البيهايفيوري الأمريكي القوي الذي هيمن على علم النفس من نهاية سنوات 1920 حتى أواسط سنوات 1950.

المراجع:

- Bonnet, C. **Histoire de la psychologie scientifique, le XXème siècle, université de Strasbourg, 2007.**
- Wasmer Andrews, L. & all. **psychologists and their theories for students, Thomson Gale, USA, 2009.**